مدوّنة تُعنى بنشر الكتابات التخصصيّة لبراعة الحوزة العلميّة الشريفة

عاشوراء وفقه الإطعام

بقلم

سماحة السَّيد محمود الموسوي

أفق الإطعام في الإسلام

لقد وجّه الدين الإسلامي الإنسان المؤمن إلى أن يكون باذلاً من ماله وطعامه للآخرين، فيخرج بذلك من الحسّ الفردي وروح الأنا، إلى الشعور بالآخرين وتنمية حس المسؤولية، ومن الأسس المهمة التي هي دلالة واضحة على صدق الإيمان أن الإنسان ينفق من ماله، كما في قول الله تعالى: {**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**}[1]، والمال أعمّ من النقد، فكل ما يملكه الإنسان بماله يمكن أن يكون ضمن الإنفاق المادي، ولذلك فإن الإطعام هو من أبرز أنواع الإنفاق في الإسلام، حيث يجده الباحث ضمن النظام الإسلامي في العديد من توجيهاته التربوية وأحكامه الشرعية بل وفيما يتّصل بعقيدته.

فقد دعا الإسلام إلى إطعام المحتاجين بشكل عام من باب الشعور بالمسؤولية تجاه الطبقات المحرومة في المجتمع، وقال تعالى: (**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا**} (سورة الإنسان ٧ - ١١).

وحثّ على الإطعام كعنوان من عناوين الترابط الاجتماعي والتماسك بين الناس وبثّ الألفة بين النفوس، فكانت من تعاليم الإسلام إكرام الضيف وتكريم الأخ، كما عن النبي (صلى الله عليه وآله): (**مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَه**)[2]، وكما عن الإمام الصادق (عليه السلام): (**إِذَا أَتَاكَ أَخُوكَ فَأْتِهِ بِمَا عِنْدَكَ، وَإِذَا دَعَوْتَهُ فَتَكَلَّفْ لَهُ**)[3].

---

[1] - آل عمران، آية ٩٢.
[2] - الكافي، ج٢، ص٦٧٦.
[3] - الكافي، ج٦، ص٢٧٦.

ومن العناوين الاجتماعية في الإطعام أن يقوم المؤمن بإطعام الناس بعقد الولائم كدعوات جماعية في مناسبات اجتماعية ودينية قد تمرّ على الإنسان، مثل الزواج والولادة وختان الأولاد وعند شراء البيت الجديد، وعند القدوم من السفر، وعلى الأخص من سفر الحج.

وقد تمازج فعل الإطعام مع العبادات تحت عناوين الصدقات والفدية بدل الصيام والكفارات وإفطار الصائم وتقديم قربان الحج هدياً وغير ذلك.

وقد يكون الإطعام تحت عناوين قيمية أعم، مثل إغاثة الملهوف وإطعام المؤمن، كما عن أبي عبد الله (ع): (**مَا أَرَى شَيْئاً يَعْدِلُ زِيَارَةَ الْمُؤْمِنِ إِلَّا إِطْعَامَهُ، وَحَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُطْعِمَ مَنْ أَطْعَمَ مُؤْمِناً مِنْ طَعَامِ الْجَنَّةِ**).

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ (ع) قَالَ: (**مَنْ أَطْعَمَ مُؤْمِناً مِنْ جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ وَ مَنْ سَقَى مُؤْمِناً مِنْ ظَمَإٍ سَقَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ**)[٤].

وعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ (ع) أَنَّهُ قَالَ: (**لَأَنْ أُطْعِمَ أَخَاكَ لُقْمَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِدِرْهَمٍ، وَلَأَنْ أُعْطِيَهُ دِرْهَماً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِعَشَرَةٍ، وَلَأَنْ أُعْطِيَهُ عَشَرَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ رَقَبَةً**)[٥].

---

[٤] - المؤمن، الحسين بن سعيد، ص٦٣، ح١٦١.

[٥] - الصدر.

الإطعام في حب أهل البيت

من أفضل القربات في الإطعام هو الإطعام الذي له أبعاد عقائدية، لأنه مرتبط بأهم الأبعاد الإيمانية للإنسان، وهي العقيدة، ولأن الولاية هي أهم ما نادى به الإسلام، فإن الإطعام في سبيل الولاية وفي حب أهل البيت (ع) هو من أشرف الأنواع وأعظم القربات.

ويمكن أن تتفرّع من الإطعام في حب أهل البيت (ع) فروع كثيرة، مثل الإطعام من أجل تقريب الناس إليهم والدعوة لهم، والإطعام على حبهم أو نيابة عنهم، والإطعام بالنذر لهم، أو الإطعام إحياء لأمرهم وما شابه ذلك من العناوين، ونحن هنا نتحدّث عن كافة العناوين الممكنة في الولاية، وفي الإطعام الحسيني بشكل خاص.

عن الإمام علي (ع): (**إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اطَّلَعَ إِلَى الْأَرْضِ فَاخْتَارَنَا وَاخْتَارَ لَنَا شِيعَةً يَنْصُرُونَنَا وَيَفْرَحُونَ لِفَرَحِنَا وَيَحْزَنُونَ لِحُزْنِنَا وَيَبْذُلُونَ أَمْوَالَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ فِينَا أُولَئِكَ مِنَّا وَإِلَيْنَا**)[٦].

وفي كلام أمير المؤمنين (ع) دلالة واضحة في أن بذل المال في أهل البيت (ع) وفي سبيلهم لهو من المهام العظيمة التي يتحملها من اختارهم الله وشرفهم لحمل راية أهل البيت (ع) وإعلاء كلمتهم.

الإطعام الحسيني

يمكن أن نعتبر الإطعام الحسيني من الشعائر الحسينية من جهات عدّة، فهو إما أن يكون عنواناً مستقلاً كشعيرة، كما يحصل في بعض المضائف التي توزع الطعام في مناسبات عدّة باسم الإمام

---

[٦] - الخصال، ج٢، ص٦٣٥.

الحسين (ع)، وإما أن يكون الإطعام جزءاً من ممارسة الشعائر المختلفة، مثل أن يُطعم المعزّين أو يُطعم الزائرين للإمام الحسين (ع) أو عموم الموالين للإمام الحسين (ع)، أو يُطعم كافة الناس تذكيراً بالإمام الحسين (ع) أو نيابة عنه، ففي كل الأحوال هو يمثّل علامة يُحيى من خلالها ذكر الإمام الحسين (ع) وتعظمه في النفوس وتمكّن تعاليه في الأرض.

من النصوص التي يمكن الاستفادة منها في خصوص الإطعام الحسيني هي التالي:

١- عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ع) إِنَّ رَجُلًا أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، هَلْ يُزَارُ وَالِدُكَ؟ قَالَ فَقَالَ: نَعَمْ، وَيُصَلَّى عِنْدَهُ وَيُصَلَّى خَلْفَهُ وَلَا يُتَقَدَّمُ عَلَيْهِ. قَالَ: فَمَا لِمَنْ أَتَاهُ؟ قَالَ: الْجَنَّةُ، إِنْ كَانَ يَأْتَمُّ بِهِ. قَالَ: فَمَا لِمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ؟ قَالَ: الْحَسْرَةُ يَوْمَ الْحَسْرَةِ. قَالَ: فَمَا لِمَنْ أَقَامَ عِنْدَهُ؟ قَالَ: كُلُّ يَوْمٍ بِأَلْفِ شَهْرٍ. قَالَ: فَمَا لِلْمُنْفِقِ فِي خُرُوجِهِ إِلَيْهِ وَالْمُنْفِقِ عِنْدَهُ؟ قَالَ: الدِّرْهَمُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ. وَ ذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ[٧].

٢- عَنِ ابْنِ سِنَانٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ (ع): جُعِلْتُ فِدَاكَ، إِنَّ أَبَاكَ كَانَ يَقُولُ فِي الْحَجِّ يُحْسَبُ لَهُ بِكُلِّ دِرْهَمٍ أَنْفَقَهُ أَلْفُ دِرْهَمٍ، فَمَا لِمَنْ يُنْفِقُ فِي الْمَسِيرِ إِلَى أَبِيكَ الْحُسَيْنِ (ع)؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ سِنَانٍ، يُحْسَبُ لَهُ بِالدِّرْهَمِ أَلْفٌ وَأَلْفٌ حَتَّى عَدَّ

[٧] - كامل الزيارات، ص١٢٨.

عَشَرَةً، وَيُرْفَعُ لَهُ مِنَ الدَّرَجَاتِ مِثْلُهَا، وَرِضَا اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ وَدُعَاءُ مُحَمَّدٍ (ص) وَدُعَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَئِمَّةِ خَيْرٌ لَهُ[٨].

٣- عَنْ عُمَرَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ قَالَ: لَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ (ع) لَبِسَ نِسَاءُ بَنِي هَاشِمٍ السَّوَادَ وَالْمُسُوحَ وَكُنَّ لَا يَشْتَكِينَ مِنْ حَرٍّ وَلَا بَرْدٍ، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (ع) يَعْمَلُ لَهُنَّ الطَّعَامَ لِلْمَأْتَمِ[٩].

بين البذل للفقراء والإطعام للعزاء

من الإشكاليات التي تطرح مقابل الإطعام الذي يقدّمه الناس في سبيل الإمام الحسين (ع)، ولأنه معدّ لجميع المعزين أو جميع الحضور للموسم العاشورائي، ومنهم الفقير والغني، وأكثر ما يتناول الطعام هم من الطبقة التي لا تحتاج إلى هذا الطعام، هي إشكالية أن هذا قد يكون من التصرّف غير العقلائي، في حال وجود الكثير من الفقراء الذين يحتاجون إلى المبالغ التي تصرف في هذا الإطعام؟

الاجابة على هذه الإشكالية من جهتين:

الجهة الأولى: البعد العقلائي: منشأ الإشكالية متكئة على أن العقلاء يرون أن العطاء للفقير أولى من العطاء للموسم الحسيني، وهذا فيه اشتباه كبير، لأن تحديد الأولويات يخضع للموازنة بين الأمور التي يمكن أن تختلف من مكان إلى آخر، فلا تكون قاعدة عامة، ومن جهة أخرى، فإن الإشكالية إذا قبلنا بها كقاعدة عامة، فإنه لا يمكن تطبيقها حتى في الموضوع الواحد، وهو العطاء للفقير، وبيان ذلك: أن المُعطي لو قرّر عطاء فقير يحتاج إلى دفع مديونية كبيرة، فسيقال له لِمَ لا

---

[٨] - المصدر.

[٩] - وسائل الشيعة، ج٣، ص٣٣٨.

تعطي الفقير الذي يحتاج إلى قوت يومه، ولو أعطى هذا الفقير يمكن أن يقال له: لِمَ لا تعطي الفقير الآخر، وهكذا لن يمكنه العطاء إلاوسيكون هناك ما يبدو أنه أولى منه، فلذلك فإنه بناء على نظره للأولوية وبناءعلى قدرته وبناء على تحقيق العطاء العام، فهو في سعة، ولن يكون ملوماً في عطائه.

ومن جهة أخرى عقلائياً، فإن النظر للأولويات الموضوعية أمر مهم، ومنها أن العطاء للفقير أمر ينفع الفرد مادياً، والعطاء الحسيني هو أمر نافع للمجتمع وللدين معنوياً، ولا يمكن أن ننظر للبعد المادي ونغفل عن البعد المعنوي، ولهذا نرى بعض العلمانيين أو من تأثر بهم يستنكرون الإطعام الحسيني والعطاء للشعائر، فيقابلونها بما هو أولى في نظرهم وهو العطاء للفقراء، وفي ذات الوقت يجلّون ويقدّرون من يُعطي للعلم والمعرفة أو من يُعطي للتجارب المخبرية التي يمكن أن تنفع البشرية في أمر ما، ولايقابلون ذلك بالعطاء للفقراء، وهذه مفارقة بيّنة.

الجهة الثانية: البعد الشرعي، فإن الشرع لو أراد من الناس العطاء لجهة واحدة، لما قرّر في مجمل عباداته وإرشاداته للعطاءات المتنوعة، مثل الإغاثة وسد الجوع والإكساء وسدّ الدَين، وإطعام المؤمن، ودعوة القريب الصديق وغيره، وتأليف القلوب، وعمارة المساجد وأماكن العبادة، وغيرها، فهذا التنوّع يعطي لكل عمل فضله وخصوصيته، وكلّما نظر إلى أبعاد مهمة في العنوان الواحد كان أفضل وأولى، وأهمية كل شيء بحسبه وبحسب الواقع.

ولذلك نرى أن إجابات الفقهاء المعاصرين حول التفاضل بين الإطعام في العزاء الحسيني وبين التصدّق على الفقراء، بيّنت أن لكلّ عطاء فضله، أي له خصوصيته وأهميته، ولا يمكن إلغاء عنوانه لما فيه من أهمية. وإليك بعض المسائل:

السؤال: أيهما أفضل: الصدقة على الفقراء أم بذل الطعام في عزاء الإمام الحسين (عليه السلام)[١٠]؟

السيد السيستاني: لكلٍّ فضل.

الشيخ الفياض: لا مفاضلة بين الإثنين بل لكلّ عمل فضله والله يضاعف لمن يشاء.

السيد الحكيم: لكلّ فضله، ويختلف الأمر باختلاف الظروف والشرائط.

السيد الروحاني: بما أن بقاء الإسلام بالثورة الحسينية وبما أن بقاء الثورة إنما هو بالشعائر الحسينية، فإحياء تلكم الشعائر أفضل من جميع الأعمال المستحبة.

السيد المدرسي: لكلّ فضل، والمؤمن في سعة، وقد يختلف الأمر حسب اختلاف الظروف والأولويات.

السيد صادق الشيرازي: إطعام الطعام في عزاء الإمام الحسين سلام الله عليه، والجمع أولى.

وقد (سئل الإمام الخميني عن أن يأذن لمجموعة من المؤمنين بأن يصرفوا المال الذي يدفعونه لإقامة المجالس، كي يدفعونه للمحتاجين من أسر الشهداء والجرحى، فقال: (لا تترك مراسيم سيد المظلومين)[١١].

---

[١٠] - جامع الأحكام، الشيخ علي الناصر.

[١١] - استفتاء أز محضر إمام خميني، فارسي، ج٣، ص٥٨ سؤال ٣٦٠. نقلاً عن مجلة الإصلاح الحسيني عدد١٢، ص ٢٠٧.

هل هناك شروط للإطعام؟

لا شك أن الإطعام الحسيني له شروط مستفادة من مجمل قيمة العطاء والإطعام في الإسلام، ومنها على سبيل المثال:

١- أن يكون الطعام حلالاً، فلا يجوز إطعام الأكل المحرّم في الشريعة كلحم الخنزير والكلب، ولا يجوز أن يطعمهم من الطعام غير المذكّى، أو الطعام الملوّث المضرّ، لضرورة الدين في ذلك.

٢- أن يكون قربة لله تعالى، وكل العناوين الحسنة المتعلقة بالإمام الحسين (ع) وإحياء شعائره وتعظيمه وتقدير المعزّين عليه وشيعته وزائريه، هي من القربات الإلهية، لأنه (ع) ولي الله وعنوان من عناوين حرمات الله، التي أمر أن تعظّم. قال تعالى: {**ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**}. (سورة الحج ٣٢).

٣- ألا يكون فيه إسراف، لأن الاسراف محرّم في الشريعة، قال تعالى: {**وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا**}. (سورة الفرقان ٦٧).

هل يوجد إسراف في الإطعام الحسيني؟

الإسراف هو الزيادة عن الحدّ فيما يحتاج إليه، ويمكن تصوّر ذلك بأنه إذا اشترى طعاماً لخمسة أشخاص وهو شخص واحد، ويعلم أنه لن يمكنه تناوله ولم يمكنه حفظه فيما بعد، فسيتلف الطعام لا محالة، هنا الإسراف واضح ومفهوم. ولكن عندما يدعو شخصٌ جماعةً من الناس دعوة عامة، فإنه سيقوم بإعداد طعام للعدد الذي يتوقع حضوره، وهنا يمكن للنتائج أن تأتي مختلفة،

وعليه فإن باب التقدير مختلف باختلاف الأمكنة والأزمنة، فلا يمكن الخروج بتحديد واضح للقول بأن هذا إسراف أو لا بناء على كمية الطعام، بل سيكون بحسب ما يتعارف عليه في هذا المجتمع أو ذاك.

وفي الإطعام الحسيني تحديداً يرى البعض أن مطلق الإطعام هو إسراف، وهذا كما ذكرنا غير صحيح، لأن الإطعام من أجل الشعائر أمر مطلوب، وبعض يرى أن الإسراف هو في كميات الطعام التي توزع ثم تُلقى كميات كبيرة من الطعام، وهذا صحيح إذا كان المُعدّ للطعام عالماً بأنه قد بالغ في إعداد الكميات وكذلك لم يمكنه التصرّف به للمواكب أو مجالس أو أشخاص آخرين، إلا أنه بحسب ما يبدو أن الأمر ليس بهذه الصورة من التبسيط، بل باعتبار أن المجالس تتأرجح بين الزيادة والنقصان في عدد المرتادين، فإذا توقع حضور مائة شخص على سبيل المثال، وحضر خمسون فقط، فهذا لا يُعدّ من الإسراف، لأنه لم يكن يعلم بعدم حضور البقية. نعم لا بد كحالة أفضل أن يسعى العاملون والمسؤولون إلى إيجاد تدابير لمثل هذه الحالات، بحيث لا يُرمى الفاضل من الطعام، بل يجدون له أشخاصاً آخرين أو يقومون بحفظه.

ولنا في الحديث الشريف عن الإمام الصادق (ع) سلوى في ذلك، روى الْعَيَّاشِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ، عَنِ الصَّادِقِ (ع) قَالَ: **(لَوْ أَنَّ رَجُلًا أَنْفَقَ عَلَى طَعَامٍ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَأَكَلَ مِنْهُ مُؤْمِنٌ، لَمْ يُعَدَّ سَرَفاً)**. ورواه الطبرسي في مكارم الأخلاق، وعنه البحار. والشيخ المفيد روى في الاختصاص حيث قال: وَرُوِيَ: لَوْ عُمِلَ طَعَامٌ بِمِائَةِ أَلْفٍ ثُمَّ أَكَلَ مِنْهُ مُؤْمِنٌ وَاحِدٌ لَمْ يُعَدَّ مُسْرَفاً.